الفصل الأول

من أهم الأحداث في تاريخ البشرية – إختراع الحروف ومعرفة الكتابة – وعندما استطاع الإنسان بالخط والكتابة نقل أفكاره وتسجيل آثاره بدأت المدينة والحضارة .

ومن تكريم الله سبحانه وتعالى للقلم والكتابة أن ذكرهما في القرآن الكريم

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ .... ﴾ [1]

كما أقسم الحق تبارك وتعالى بالقلم وسميت إحدى سور القرآن الكريم باسمه :

﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ.... ﴾ [2]

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال :" قيدوا العلم بالقلم " [3] .

ومما ساعد على رفع شأن الخط العربي كتابة وتسجيل القرآن الكريم به واعتباره الوسيلة التي حفظ بها القرآن .

والخط العربي بصورته الحالية لم يصلنا مرة واحدة ، وإنما مرّ بعده مراحل وهيئات إلى أن وصلنا بشكله الحالي .

النظريات التي وردت بشأن أصل الخط العربي :-

لقد اختلفت الآراء بشأن أصل الخط العربي .. فهناك من يرى أن الخط العربي ليس من صنع البشر وإنما هو من عند الله ﷻ – علمه لآدم عليه السلام بالوحي [4] وقيل في هذا الشأن أيضاً أن أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب آدم عليه السلام [5] إستناداً لقوله تعالى :

١- سورة العلق الآيات من ١- ٤

٢- سورة القلم الآية رقم ١

٣- حديث صحيح رواه الطبراني في الكبير والحاكم بنص " قيدوا العلم بالكتاب "

٤- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ج ٣ ص١٠ ، المطبعة الأميرية – القاهرة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م .

١- الجهشياري (محمد بن عبدوس) ت ٣٣١هـ/٩٤٢م : الوزراء والكتاب – ص٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا.... ﴾ [1]

ويعارض ابن خلدون هذا الرأي ، وحجته في ذلك أن الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية فهو على ذلك ضرورة اجتماعية اصطنعها الإنسان ورمز بها الكلمات المسموعة ، والكتابة على ما هو معروف المرتبة الثانية من مراتب الدلالة اللغوية تابعة في نموها وتطورها شأن كثير من الصناعات المعاشية – لتقدم العمران – والكتابة لهذا السبب تنعدم مع البداوة وتكتسب بالتحضر لا يصيبها البدو عادة إلا مقيمين على تخوم المدينة [2] .

ولقد رفض هذا الرأي الكثير من الباحثين في الخط العربي [3] لأنه لا يقوم على أساس من العلم أو سند من التاريخ الصحيح .

أما الرأي الثاني فيرجع أصل الكتابة والخط العربي إلى الخط المسند الحميري [4] .

ولقد رفض هذا الرأي العديد من الباحثين المحدثين في أصل الخط العربي [1] لأن أصحاب هذا الرأي لا يستندون إلى دليل مادي فليس هناك علاقة علاقة واضحة بين خطوط حمير في اليمن والخط العربي الذي وصل إلينا .

٢- سورة البقرة : جزء من الآية رقم ٣١.
- محمد طاهر الكردي : تاريخ الخط العربي وأدابه ص ١٦/ القاهرة ١٩٣٩م.
٣- ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون ت ٨٠٨ هـ) : المقدمة – ج٢ ص٩٦١
تحقيق د/ علي عبد الواحد وافي – ط٣ – دار نهضة مصر – القاهرة
٤- إبراهيم جمعة : دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة ص١٧ ، القاهرة ١٩٦٩م.
- زكي صالح : الخط العربي ص١٥– الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣م
- إبراهيم جمعة : قصة الكتابة العربية ص٧، ٨ ، سلسلة إقرأ – دار المعارف ط٤ سنة ١٩٨٤م
- بلال الرفاعي : الخط العربي – تاريخه وحاضره ص٣٠، ٣١ط١ ، دار ابن كثير ، دمشق وبيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م
٥- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري ت٣٢١هـ /٩٣٣م):
جمهرة اللغة ، ج٢ ص ٩١ ط١ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٤٥هـ /١٩٢٦م
- ابن خلدون : المرجع السابق ج٢ ص٩٦٢دار نهضة مصر ، القاهرة .
- الفيروز بادي (مجد الدين محمد ن يعقوب ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م) ، القاموس المحيط ج٤ ص٩٠- المطبعة الحسينية المصرية ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م
- القلقشندي : المرجع السابق ج٣ ص ١٤ المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م.

كذلك من الأدلة على ضعف هذه النظرية أو هذا الرأي أن حروف حمير تكتب منفصلة غير متصلة وهي في أشكالها تختلف اختلافاً واضحاً عن أشكال الحروف العربية فليست بينها حروفاً متشابهة إلا في حرف الراء [٢] بالإضافة إلى أن اتجاه الكتابة في المسند لم يكن في ناحية واحدة مثل العربية الشمالية وهي من اليمين لليسار، وإنما نجد في كثير من الأحيان العكس وقد يمزج بين الطريقتين [٣].

ومن بين الآراء التي ذكرها الباحثون القدامى أيضاً في أصل الخط العربي ومصدره – ما ذكره بعض المؤرخين العرب [٤] وعلى رأسهم البلاذي الذي يروى عن عباس بن هشام بن محمد السائب الكلبي عن جده وعن الشرقي القطامي : أن ثلاثة نفر من طي اجتمعوا في بقة [٥] وهم مرامرة بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة ووضعوا الخط وقاسوه على هجاء السريانية فتعلمه منهم قوم من أهل الأنبار ثم تعلمه أهل الحيرة من الأنبار. ويقولون كذلك أنها انتقلت من الحيرة إلى الحجاز على يدى بشر بن عبد الملك الكندي الذي علمها نفر من أهل الحجاز.

ويرفض هذا الرأي بعض مؤرخي الفن [٦] على أساس أن الروايات الخاصة باختراع الكتابة العربية المنسوبة إلى الحيرة تعتمد على أخبار خاطئة [١]

١- سهيلة الجبوري : أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي – رسالة ماجستير ساعدت على نشرها جامعة بغداد ص ٢٦، ٢٧ ، بغداد ١٩٧٧م
- إبراهيم جمعة : قصة الكتابة العربية ص ٩.

٢- إغناطيوس غويدي : المختصر في اللغة العربية الجنوبية القديمة ص٣/ القاهرة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م.

٣- إغناطيوس غويدي : المرجع السابق صـ ٣.

٤- البلاذي (أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي) : فتوح البلدان ، ص ٤٥٦- ٤٥٧/ راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان / بيروت ١٩٨٣م.
- ابن النديم (محمد بن إسحق المشهور بابن النديم) : الفهرست ص ٦، ٧ / دار المعرفة بيروت .
- القلقشندي : المرجع السابق ج٣ ص ٨

٥- بقّة : بالفتح وتشديد القاف اسم موضع قريب من الحيرة بالعراق ، وقيل حصن كان على بعد فرسخين من هيت كان ينزله جذيمة الأبرش ملك الحيرة . انظر :
- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) : معجم البلدان ج١ ص٧٠٢ وقد ورد اسمها " بقعة " في العقد الفريد لابن عبد ربه
- ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م) : العقد الفريد ، ج٤ ص ١٥٧ شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته : أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

١- إبراهيم جمعة : قصة الكتابة العربية ص ١٣ ، سهيلة الجبوري : أصل الخط العربي وتطوره ص ٢٤، ٢٥

ويفسر هذا الرفض د/ إبراهيم جمعة بقوله " أننا نستسيغ من هذه النظرية أن تكون الحيرة مركزاً من مراكز تعليم الخط العربي في وقت ما لا ضير في ذلك لأن خط العرب الشماليين انتهى في وقت من الأوقات إلى هذه البقعة وهو يرحل رحلته من موطنه الأول (ديار النبط) إلى الحجاز بطريق دومة الجندل والعراق الأوسط ، ومن المقبول إذن أن تكون الأنبار والحيرة قد تلقفتا هذا الخط من بعض جهات الشام ثم أزجته الأنبار والحيرة إلى الحجاز قائمتين بدور الوسيط [٢]

وقيل أيضاً أن أول من وضع الحروف العربية ستة أشخاص من طسم وهم "ملوك جبابرة " [٣] هم أبجدوهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت [٤] وضعوا الكتابة والخط على أسمائهم ولما وجدوا حروفاً في الألفاظ ليست في أسمائهم ألحقوها بها وسمَّوها الروادف [٥] وهي الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والعين المعجمات .

ويضيف الصولي : إنها رواية أوردها عبد الله بن عمرو بن العاص وعروة بن الزبير [٦] .

- بلال الرفاعي : الخط العربي – تاريخه وحاضره ص ٣٤.

٢- Grohman,Adolf : Arabishe Balaographie , Teil , 11P.26 , Vien.

- سهيلة الجبوري : المرجع السابق ص ٢٤حاشية (٣٦)

٣- إبراهيم جمعة : المرجع السابق ص ١٢، ١٣.

٤- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) : تاريخ الرسل والملوك ج١ ص ٢٠٣ ، ط بيروت ١٩٦٤م.

٥- وقد اعتبر أن (أبجد) ملكاً على مكة وما جاورها و(هوز وحطى) ملكين على الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد و(كلمن) و(سعفص) و(قرشت) ملوكاً بمدين . انظر :-

- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ج١ ص ٣٩٦-٣٩٧ ، كتاب التحرير ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م

٦- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٤ ص ١٥٧ ،- ابن النديم : الفهرست ص ٤ وقيل في أبجد ، هوز ... الخ أنها أسماء لأبناء مرامرة بن مرة وليست أسماء ملوك في الحجاز وبقية أجزاء الجزيرة العربية .

انظر سهيلة الجبوري : اصل الخط العربي ص ٢٢ حاشية ١٨.

١- الصولي (أبو بكر محمد بن يحيي ت ٣٣٦هـ/٩٤٧م) : أدب الكتاب ص ٢٩

تصحيح محمد بهجت الأثري ، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤١هـ/١٩٢٢م.

وهـذه الروايـة مختلقـة ، ومما يؤكـد ذلـك أن الحـروف العربيـة ظلـت غـير منقوطـة حتـى بعـد ظهـور الإسـلام بفـترة ، ونـادراً مـا كـان يـنقط القليـل منهـا ، وقـد طعن في صحتها العديد من مؤرخي الفن [١] .

وأغلـب الظـن أن الترتيـب الأبجـدي القـديم عنـد أكثـر الأمـم السـابقة هـو ترتيـب أبجد هوز ، وهي ألفاظ لم يقصد منها سوى جمع هذه الحروف في كلمات [٢] .

وأكثـر الآراء قبـولاً لـدى مـؤرخي الفـن – أن الخـط العربـي إشـتق مـن الخـط النبطي علـى أسـاس أن عـرب الشـمال إشـتقوا خطهـم مـن الصـورة الأخـيرة لخطـوط النـبط . ومثلمـا اسـتعار النـبط خطهـم الأول مـن الآرامـيين – كـذلك اسـتعار العـرب خطهـم الأول مـن بـني عمـومتهم الأنبـاط . كمـا لا تبعـد الصـورة الأولى للخـط العربـي كـثيراً عـن صـورة الخـط النبطي ، ولم يتحـرر الخـط العربـي مـن هيئتـه النبطيـة بحيـث أصـبح خطـاً قائمـاً بذاتـه إلا بعـد أن اسـتعاره العـرب الحجـازيون لأنفسـهم بقـرنين من الزمان [٣] .

ولقـد انتقـل الخـط العربـي مـن ديـار النـبط إلى الحجـاز إمـا عـن الطريـق الـدائر مـن حـوران إلى وادي الفـرات الأوسـط حيـث توجـد الحـيرة والأنبـار ثـم إلى دومـة الجنـدل ثـم مكـة والطـائف ، أو مـن ديـار النـبط إلى البتراء إلى العـلا ثـم شمـال الجزيـرة

٢- خليـل يحيـي نـامي : اصـل الخـط العربـي وتطـوره إلـى مـا قبـل الإسـلام – مجلـة كليـة الآداب الجامعـة المصـرية – مجلد ٣ ، ج١ ص٥ ، ٦، القاهرة ١٩٣٥م .، - سهيلة الجبوري : المرجع السابق ص٢٢
- زكي صالح : المرجع السابق ص ٢٨.
٣- حفني ناصف : تاريخ الأدب ، ج١ص٣٥ ، سنة ١٩١٠/١٩٠٩ م ، - سهيلة الجبوري : المرجع نفسه ص ٢٢.
٤- إبراهيم جمعة : دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار ص ١٧، ١٨ ، - قصة الكتابة العربية ص ١٥- ١٧
- سهيلة الجبوري : المرجع نفسه ص ٥١
- محمود حلمي : الخط العربي بين الفن والتاريخ – مجلة عالم الفكر ، مجلد ١٣، عدد٤ ، ص ١٦٧ - ١٦٨ الكويت ١٩٨١م.
- محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ص ١٧٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م
- بلال عبد الوهاب الرفاعي : المرجع السابق ص ٣٦-٣٧

العربية حتى المدينة ومكة وذلك في الفترة بين منتصف القرن ٣م ونهاية القرن ٦م والتي أخذ فيها الخط العربي صورته الحالية متحرراً من الطابع النبطي [١]

وجدير بالذكر أنه كانت توجد في بلاد الحجاز سوقاً نبطية في نهاية القرن ٥م مما يدل على العلاقات التجارية الهامة بين بلاد النبط والحجاز.

كما أنه من أكثر الآراء شيوعاً أن الكتابة العربية قد انتقلت من الأنباط إلى عرب الحجاز مع التجارة التي كان يمارسها القرشيون واليهود معهم وأن رحلات الشتاء والصيف قد أفادت العرب فائدة ثقافية إلى جانب إفادتهم من الناحية المادية.

إذا كانت الحروف العربية قد انتقلت بصورها من الشمال – فإنه قد يكون أقرب إلى الصواب إذا قلنا أنها قد تبلورت وتشكلت بين مكة حيث البيت العتيق (المسجد الحرام) والمدينة المنورة [٢]، كما أن سكان قلب الجزيرة العربية قد تعالوا على غيرهم من الشعوب المحيطة بهم بلغتهم العربية السليمة، ثم جاء القرآن الكريم ليكون معجزة دين وبلاغة ولغة.

ولقد استمر تطور الخط العربي حتى عصر النبوة، ففي هذا العصر كان كتبة الوحي يكتبون بذلك الخط العربي الذي استقام عوده بعد أن استقل عن الخط النبطي ولكن للأسف لم تصلنا أمثلة من هذا الخط الحجازي المستعمل أيام النبي ﷺ في مكة أو في المدينة [٣].

وأغلب الظن أنه كان لهذا الخط في عصر النبوة صورتان – إحداهما لينة يميل الخط فيها إلى التدوير وكانت تستعمل في التدوين السريع، والثانية جافة يميل الخط فيها إلى التربيع وكانت تستخدم في كتابة الشئون الهامة التي يراعي

١- زكي صالح : المرجع السابق ص ٣٤، ٣٧ ، إبراهيم جمعة : قصة الكتابة العربي ص ١٨
- بلال الرفاعي : المرجع السابق ص ٣٧
٢- محمود حلمي : المرجع السابق ص ١٦٩.
٣- محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ص ١٧٣حاشية (١)

في كتابتها التأني والدقة فكان كتبة الوحي يكتبون ما يمليه عليهم الرسول ﷺ من القرآن فور نزوله بالخط اللين نظراً لطواعيته وسهولته وعند العودة إلى منازلهم يعيدون كتابة ما دونوه في حضرة النبي بالخط الجاف .

وكانت الخطوط في فجر الإسلام تسمى بأسماء المدن التي جودته وطورته فنجد الخط الحيري والأنباري والمكي والمدني والكوفي والبصري .. الخ .